



## مُجِرَّة تَعَلُّمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي لَبْلَةِ وَاحِدَةٍ آيَةُ مُسْتَرَّةٍ لِلمَسِيحِ الموعودِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

### تميم أبو دقة

آلف الإمام المهدي والمسيح الموعود زهاء ٢٢ كتابا باللغة العربية الفصيحة والبليغة، قدّم فيها مبادئ الإسلام الحقّة وتعاليمه السامية، وضمّن ألف الآيات من الأشعار الرائعة في العرفان الإلهي ومدح النبي ﷺ وأظهر مزاياه العظيمة ومدح الإسلام والقرآن الكريم. لقد تجلّت في هذه الكتابات آية عظيمة؛ وهي التعلّم الإجماعي لحضرته لأربعين ألفا من اللغات العربية في لبلة واحدة، إذ علّمه الله تعالى الجذور والنحو والصرف والأساليب والتراث والشعر والأدب والأمثال والثقافة العربية والمهجّات العربية الفصيحة المتنوعة. ولقد ظهر هذا التعلّم في قوة لغته التي تحدّى الخصوم مرارا للإتيان بمثله ومجزوا عن ذلك، كما تجلّى في تطعيم كتاباته وأشعاره بالتراث العربي ومُلحّه، بل وفي تجديد اللغة وربطها بتراثها، بل وفي إنشاء حركة للحفاظ على التراث العربي واستدامة ربط ماضيها بحاضرها معاكسا بذلك تيارا كان قد ساد في العالم العربي وسعى إلى تسطيح اللغة بل وإهالها والتخلي عنها، بل تقدّم درجة بإعلان أن الله تعالى قد علّمه بأن العربية هي أمُّ الألسنة وأعظم لغات العالم بلا منازع، وقدّم الأداة العديدة على ذلك وتحدى بها. وفي المقالات التالية سيتضح جانب من أعمال حضرته ومظاهرها، كما سيُردُّ تلقائيا على الاعتراضات حول اللغة العربية وعلى رأسها الاتهام بالسرقة من كتب الادب العربي كالحريزي والمهمذاني وكذلك من الشعر الجاهلي.

<p>أهل البيت قريبا منه، وأخذ ما في القدر يفور وينسكب ويحرك الغطاء، فأراد أن ينادي أهل البيت لتبنيهم، فوجد نفسه كالأبكم؛ إذ لم يعرف ماذا ينبغي أن يقول، وإذا بفتاة صغيرة تأتي وترى المشهد، ثم تنادي أمّها بكلمات بسيطة أعجزت هذا العالم الكبير! فاللغة ليست مفردات ولا قواعد ونحوها وصرفا فقط، بل هي أساليب</p>	<p>ويكون من أدبائها وكتابها أن يعيش في بلاد أهل اللغة لسنوات طويلة. وهذا يدكرنا بقصة لأحد كبار علماء اللغة الفارسية في الهند، الذي تعلّمها في الهند ولم يكن قد زار بلاد فارس من قبل، فعندما قرر الزيارة للتجول في تلك البلاد، كان في ضيافة إحدى العائلات، وصادف أن كان جالسا وبقره قدرٌ يغلي، ولم يكن أحد من</p>	<p>معرفة اللغة، بل والاطلاع الواسع عليها، لا يكفي وحده لكي يصبح الشخص أديبا أو شاعرا أو كاتباً فذا، بل يحتاج الإنسان إلى تمرّس في اللغة ومعايشة أهلها، ودراسة معمّقة ومطوّلة لأدبهم المكتوبة والمسموعة. لذلك فإنه من الضروري لمن يريد أن يمتلك ناصية اللغة</p>
--	--	--



**فاللغة ليست مفردات ولا قواعد ونحوًا وصرفاً فقط، بل هي أساليب وتراكيب ولهجات وتراث مكتوب ومسموع يشمل الأمثال والنكات والشعر والأدب وغيرها. وفي العربية تسمى هذه الجزئيات لغات، وهذه التسمية وردت بكثرة في كتب التراث.**

أمر به من الله تعالى هو البداية الفعلية لهذه المأمورية التي كانت قد بدأت عملياً من قبل بتصدُّر حضرته للدفاع عن الإسلام في حوارات ومقالات للرد على المسيحية والهندوسية الآرية وغيرها. وفي عام ١٨٨٩ أمر من الله تعالى بتأسيس الجماعة، ثم أُخبر من الله تعالى في نهاية عام ١٨٩٠ بأنه هو المسيح الموعود حصراً الذي تحدثت عنه الأنبياء في القرآن الكريم والحديث الشريف، وأن عيسى عليه السلام قد توفي ولن يعود بنفسه. وقدم هذه الأدلة ابتداءً من عام ١٨٩١ في كتابه «فتح الإسلام، توضيح المرام، إزالة الأوهام»، وبعد هذه الدعوى أصبح من الملَّح أن يبلغ الرسالة باللغة العربية، وهذا ما طالبه به الخصوم ثم ما رغبه فيه أصحابه أيضاً. ولكن حضرته رأى أنه ليس بمقدوره أن يكتب الكتب بالعربية لأنه ليس متمكناً ذلك التمكن الذي يجعله قادراً على كتابة

كُتب يضاهي فيها الكتاب والأدباء والشعراء العرب، بل ويتحداهم، وتكون هذه المقدرة أيضاً آية من الله تعالى. فعندما وجد أن هنالك ضرورة وحاجة إلى ذلك، تضرَّع إلى الله تعالى، فكانت المعجزة العظيمة؛ إذ علَّمه في ليلة واحدة، وهي ليلة ١٢/١/١٨٩٣ الكثير جداً من اللغات العربية، وأخبر من الله تعالى أن هذا التعليم كان أربعين ألفاً من هذه اللغات. وهذه الأربعين تشمل كل ما يتعلق باللغة من جذور وأساليب وتراكيب ونحو وصراف وتراث أدبي متنوع من شعر وأمثال ونكات وغيرها، ثم بدأ بعد ذلك بكتابة سلسلة الكتب العربية التي بلغت زهاء اثنين وعشرين كتاباً، وكانت في معظمها تحديات ما زالت قائمة حتى اليوم، وما زال الخصوم عاجزين عن الإتيان بمثلها، واقتصر كلامهم منذ ذلك الوقت على مجرد انتقادات سخيفة، وعجزوا هم

وتراكيب ولهجات وتراث مكتوب ومسموع يشمل الأمثال والنكات والشعر والأدب وغيرها. وفي العربية تسمى هذه الجزئيات لغات، وهذه التسمية وردت بكثرة في كتب التراث. ونظراً إلى ما سبق، فقد كان المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام على اطلاع جيد على اللغة العربية، وهذا مكَّنه من تدبُّر القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب التراث الإسلامي بصورة معمَّقة، وهذا ما ظهر في دفاعه عن الإسلام الذي ابتدأه منذ عام ١٨٧٢ في الردود على المسيحيين والهندوس وغيرهم، قبل مشروع البراهين الأحمديّة. ثم تجلَّى ذلك في كتاب البراهين الأحمديّة الذي بدأ مشروعه عام ١٨٨٠ والذي قدَّم فيه الأدلة على صدق الإسلام وردَّ فيه على شبهات المسيحيين والهندوس والملحدّين وغيرهم. بيد أن هذا الاطلاع لم يكن كافياً لكي يتمكن حضرته من كتابة الكتب العربية ونظم الأشعار، لأن هذا كان يتطلَّب معاشة واطلاعا واسعا على اللغات العربية. كان المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام قد عُيِّن من الله تعالى في عام ١٨٨٢ مأموراً بكل وضوح، وكان يبدو أن مأموريته هي الدفاع عن الإسلام وتجديده، وكان مشروع البراهين الذي

بأنفسهم أن يستجيبوا للتحدي ويأتوا بمثلها، فلم يفعلوا ولن يفعلوا. أما كيف حدثت هذه المعجزة؟ فتنفصيل ذلك ما يلي:

جاء ذكر هذه الحادثة في كتاب «مكتوب أحمد»، إذ قال حضرته: «إن كمالاً في اللسان العربي، مع قلة جهدي وقصور طلي، آية واضحة من ربي، ليظهر على الناس علمي وأدي. فهل من معارض في جموع المخالفين؟ وإني مع ذلك علمت أربعين ألفاً من اللغات العربية، وأعطيت بسطة كاملة في العلوم الأدبية، مع اعتلال في أكثر الأوقات، وقلة الفترات، وهذا فضل ربي أنه جعلني أبرع من بني الفرات، وجعلني أعذب بيانا من الماء الفرات. وكما جعلني من الهادين المهديين، جعلني أفصح المتكلمين. فكم من ملح أعطيتها، وكم من عذراء علمتها، فمن كان من لسان العلماء، وحوى حسن البيان كالأدباء، فإني أستعرضه لو كان من المعارضين المنكرين.

وقد فُقت في النظم والنثر، وأعطيت فيها نوراً كضوء الفجر، وما هذا فعل العبد، إن هذا إلا آية رب العالمين. فمن أبي بعد ذلك وانزوى، وما بارزني وما انبرى، فقد شهد على صدقي ولو كتم الشهادة وأخفى.»<sup>(١)</sup>

قد أشار حضرته إلى أن هذا التعليم قد حدث في ليله واحدة، وهي الليلة التي سبقت بدئه بكتابة كتاب التبليغ الذي كان المظهر الأول لهذا التعليم، فقد جاء في مقدمة كتاب التبليغ نفسه ذكرها، إذ قال حضرته: «وكنْتُ أنوي أن أكتب هذه الرسالة بالأردية ولكن علمتُ الليلة من بعض الإشارات الإلهامية أنه يجب أن أكتبها بالعربية»

وحول قصة هذه المعجزة، ورد في جريدة الحكم مما كتبه المولوي عبد الكريم السالكوتي رحمته الله ما تعريبه:

«كنت أنا الدافع وراء تأليف الكتاب باللغة العربية، ولقد ألقى الله تعالى في روعي قبل غيري الحماس بأن تُقدّم هذه النعمة السماوية للعرب في قوالب عربية، وبناء على ذلك ألف حضرته أولاً كتاب «التبليغ» الذي ضمّ إلى كتاب مرآة كمالات الإسلام. وإن قلبي هو الأدرى بحالة التردد والحيرة التي طرأت على حضرته إثر التماسي هذا، لقد قال بكل براءة ونقاوة ودونما تصنع: رأيت صائب تماماً، ولكنه عمل حساس وهو خارج عن قدرتي واستطاعتي. ثم فكر ملياً فقال: حسناً، سأجهز المسودة بالأردية أولاً وبعد ذلك سنترجمه إلى العربية أنا وأنت والمولوي المحترم (أي

المولوي نور الدين) متعاونين. كان الالتماس قد تمّ، فلما كانت الليلة تلقى حضرته من الله القادر الحكيم عز اسمه وحيّاً بهذا الخصوص أن يكتب بالعربية، وطمأنه الله تعالى فوراً بأنه قد أُعطي القدرة على قدر كبير من اللغة العربية وستُجري روح القدس على لسانه وقلمه اللغات العربية عند الكتابة. وهذا ما حصل بالفعل، فأول ما ألف حضرته كان كتاب التبليغ الذي كنت معه طيلة فترة تأليفه وتشرفت بترجمته إلى الفارسية. وقد كتب لغة عربية فصيحة وبلغته بحيث كتب أحد الأدباء العرب بعد قراءته إلى المسيح الموعود عليه السلام: تمنيت بعد قراءة التبليغ أن آتي إلى قاديان ماشياً على رأسي فرحاً ونشوة. وكان المولوي محمد حسين البطالوي وأمثاله قد أقاموا من قبل ضجة أن حضرته (أي المسيح الموعود عليه السلام) لا يعرف صيغة واحدة من العربية وليس عنده أي إلمام بالصرف والنحو وغيرها من العلوم العربية. وقبل إصداره فتوى التكفير بقليل قال في ثورة غضبه خلال جداله مع الحكيم حسام الدين في مسجدنا في سيالكوت: إن المرزا مجرد محرر بسيط يكتب بالأردية وأنى له أن يعرف العربية، فلماذا تبالغون في مدحه وثنائه، وسأذهب حالا وأدبر للقضاء

”إن كماله في اللسان العربي، مع قلة جهدي وقصور طلبي، آية واضحة من ربي، ليُظهر على الناس علمي وأدبي. فهل من معارض في جموع المخالفين؟ وإني مع ذلك علّمت أربعين ألفاً من اللغات العربية، وأعطيتُ بسطة كاملة في العلوم الأدبية، مع اعتلالتي في أكثر الأوقات، وقلة الفترات، وهذا فضل ربي أنه جعلني أبرع من بني الفرات، وجعلني أعذب بيانا من الماء الفرات. (المسيح الموعود ﷺ)

”قال حضرته إن الله علمني أربعين ألفاً من مواد اللغة العربية في ليلة واحدة.“<sup>(٤)</sup> وهكذا، فقد كانت هذه المعجزة ولا زالت من أعظم معجزات حضرته تأثيراً إلى قيام الساعة، وكان قد سبق النبأ عنها في الحديث الشريف أيضاً من ضمن معاني «يصلحه الله في ليلة»، وهي في الواقع ظلُّ لمعجزة القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، والذي لا زال يدمغ رؤوس المنكرين الكاذبين ويكتهم.

١. مكتوب أحمد.
٢. الحكم ١٩٠١/٣/٣م، ثم في كتيب واقعات صحيحة، مؤلفه ومرتبته: مفتي محمد صادق العثماني الأحمدي طبع في شهر تشرين الثاني ١٩٠١ ص ١١٢-١١٣.
٣. سيرة المهدي، الرواية رقم ٣٤٦، ج ١، ص ٣١٥.
٤. سجل روايات الصحابة، المجلد السابع، رواية رقم ٨٩.

الموعود ﷺ يقوم بتأليف «مرآة كمالات الإسلام»، فاستشار الجماعة في كيفية تبليغ الدعوة إلى العلماء والمتصوفة من أصحاب الزوايا، فبدأ تبادل الآراء بهذا الشأن، فقال المسيح الموعود ﷺ: يجب تأليف كتاب بالعربية من أجلهم، ولكن المشكلة أني لا أجيدها. غير أني سأكتب بالأردية وترجمه معا. ثم دخل حضرته بيته، ولما عاد جاء بشيء مما كتبه بالعربية، فلما رآه المولوي نور الدين والمولوي عبد الكريم ذهلاً لدرجة أن المولوي عبد الكريم قال إنني قرأت الكثير من العربية، ولكني لم أر مثل هذه العربية الرائعة. فقال المسيح الموعود ﷺ: لقد كنت دعوت الله بهذا الصدد، فعُلمتُ منه ٤٠ ألف مادة من العربية»<sup>(٣)</sup>. كذلك جاء ذكر هذه المعجزة في رواية صحابي آخر وهو الحافظ صوفي غلام محمد ﷺ، إذ جاء فيها:

على أمره في لمح البصر. وكانت نتيجة هذا التهديد والغضب أن أصدر لاحقاً فتوى التكفير تلك التي خرجت من قلمه بعد أيام قليلة.<sup>(٢)</sup> وفي نهاية المقالة التي نُشرت في الحكم كُتب ما يلي:

”شرفٌ بالقبول: لقد أعجب حضرة حجة الإسلام بشكل خاص بالرسالة السادسة مع التكملة للمولوي عبد الكريم السالكوتي، وأمر حضرته بنشرها في صورة كتيب منفصل علاوة على جريدة «الحكم». وسوف تطبع هذه الرسالة بصورة كتيب منفصل أيضاً. الحمد لله على ذلك. المدير» كذلك ورد ذكر هذه المعجزة في رواية لصحابي اسمه غلام نبي سيني ﷺ، والتي أوردتها حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ، فقد جاء فيها:

قال لي ميان غلام نبي سيني صاحب: «مرة كنت في قاديان وكان المسيح